

شرح رياض الصالحين ، الحديث) 12 (باب التوبة | د. ماهر

ياسين الفحل

Maher Al-Fahal

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على نبينا محمد وعليه وصاحبه ومن تبعه باحسان الى يوم يوم
الدين اما بعد الحديث الحادي والعشرون قال النبوي علينا وعليه رحمة الله - 00:00:04

وعن عبد الله ابن كعب ابن مالك وكان قائداً لكتيبة من بنية حمزة عمى قال سمعت كعب بن مالك يحدث بحديث حين تخلف يحدث
بحديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - 00:00:25

في غزوة تبوك قال شعر لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاهما قط الا في غزوة تبوك غير اني قد تخلفت في
غزوة بدر ولم يعاقب احد تخلف عنه. وفي هذا اشاره الى ان النمير في بدر لم يكن فرضا عينيا - 00:00:47

قال انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون غير قريش غير الابل باموالها حتى جمع الله تعالى بينهم وبين
عدوهم على غير ميعاد اي ان الله سبحانه وتعالى قد جمع بين المسلمين وبين اعدائهم من الكفار على غير ميعاد - 00:01:16
يقول ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين توافقنا على الاسلام يبين هذا الصحابي الجليل انه من اهل
العقبة حينما ادوا البيعة للنبي صلى الله عليه وسلم - 00:01:49

قال وما احب ان لي بها مشهد بدر فهذا المشهد والبيعة للنبي صلى الله عليه وسلم ووضع اليد في خدمة هذا الدين وابشاق بدرا
الاسلام الى خارج مكة المكرمة هذا عمل عظيم - 00:02:10

يقول وان كانت بدر اذكر في الناس منها. وقعت بدر اذكر في قلوب الناس لان بدر سمي بيوم الفرقان ولكن ايضا العقبة مشهد عظيم
وكان من خبره حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك - 00:02:31
اني لم اكن قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهم في تلك الغزوة
ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم - 00:02:58

يريد غزوة الا بغیرها وانتبه اخي الكريم كيف ان النبي صلى الله عليه وسلم يحفظ نفسه ويحفظ عباد الله ويحفظ مال الله فمن ولی
من امر المسلمين شيئا فليتق الله فيما ولیه - 00:03:22

وكان من هذا الحفظ ان النبي صلى الله عليه وسلم كما يقول كعب هنا يقول ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا
بغیرها اي اوهم انه يريد غريرا حفاظا على - 00:03:46

بامانة يقول حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد هذه الغزوة غزاهما النبي صلى الله عليه
 وسلم في بحر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفاسير المقادير هي البرية الطويلة قليلة الماء - 00:04:06

تسمى بسراط لان الانسان قد يبيد بها ويهالك وتسميتها العرب مفازا تفاؤلا ان الانسان يفوز وينجى. وينجو واستقبل عدداً كثيراً يقول
فجلى للمسلمين من امرهم يعني النبي صلى الله عليه وسلم لم يمر بهذه الغزوة لان السفر بعيد يحتاج الى اعداد عدة - 00:04:34
فالتوربة هنا لا تصلح. يقول فجلى للمسلمين امرهم ليتأهلو اهبة غزوهم اي ليستعدوا بما يحتاجون اليه في سفر فاخبرهم بوجههم
الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ - 00:05:01

حينما حققت كتاب شرح التبصرة والتبيبة قبل عشرين عاماً مرت عندي هذه الجملة في الكلام عن الصحابة قول كعب بن مالك

وال المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ. يريد - 00:05:30
الديوان ومعلوم ان الدواوين لم تكن موجودة حتى عهد عمر بن الخطاب فهذا من سنة عمر وسنة عمر نور بها حينما قال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين المهدىين من بعدى عضوا عليها بالنواخذ - 00:05:51
قالت فقل رجل يريد ان يتغىب الا ظن ان ذلك سيختفى به ما لم ينزل فيه وهي من الله تعالى وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الشمار والظلال - 00:06:11

فانا اليها اشعر اصعر اي امل فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم. والمسلمون معه وطفقت اغدو لكي اتجهز معه فارجعوا ولم اقض شيئا. واقول في نفسي انا قادر على ذلك. اذا اردت - 00:06:34

فلم يزل يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد اللي هو الاجتهاد في السير فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم اقض من جهازي اي من حدي في السفر. ولم اقض من جهازي شيئا - 00:06:58
ثم غدوات فرجعت ولم اقض شيئا. فلم يزل يتمادى بي حتى اسرع. وتفارق الغزو فهممت ان ارتحل فادرکهم فيا ليتنى فعلت. هكذا كان الصحابة اذا فاتهم شيء تولوا واعينهم تفيف من الدمع حزنا - 00:07:22

يقول ثم لم يقدر ذلك لي فطفقت اذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينوني اني لا ارى لي اسوة الا رجلا مغموما اي مطحونا عليه بانه منافق. الا رجلا - 00:07:48

مغموما عليه في النفاق او رجلا من عن عذر الله تعالى من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك؟ فقال رجل منبني سلمة - 00:08:09

يا رسول الله حبسه بردة والنظر في عطفيه فقال له معاذ بن جبل وانظر الى معاذ وما كانت معاذ قال معاذ دابا عن عرض أخيه المؤمن بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا - 00:08:34

فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين هو على ذلك رأى رجلا مبيضا اي لابسا البياض يزول به السراب اي يتحرك به وينهب والسراب ما يظهر للانسان في الهواجر في البراري كانهما - 00:08:58

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ابا خيثمة فاذا هو ابو خيثم الانصاري وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون قال كعب فلما بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا اي راجعا من تبوك - 00:09:24

حضرني بشيء والب ش هو الحزن فطفقت اتذكر الكذب واقول بما اخرج من سخطه غدا يقول واستعين على ذلك بكل ذي رأى من اهلي فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اطل قادما زاح عنى الباطل وهذا - 00:09:49

وهذا هو الحزم والعزم على الصدق زاه عنى الباطل حتى عرفت اني لم انجو منه بشيء ابدا فاجمعت صدقه اي اذمت على صدقه صلى الله عليه وسلم واصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما - 00:10:17

وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءها المخلفون اي الذين تخلفوا في الخروج معه الى تبوك يعتذرون اليه ويحذفون لهم - 00:10:39

وكانوا ببعضها وثمانين رجلا فقبل منهم على نيتهم وبایعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله تعالى حتى جئت فلما سلمت تبسم تبسم المغضب اي الغضبان. ثم قال تعال فجئت امشي حتى جلست بين يديه - 00:10:58

فقال لي ما خلفك؟ الم تكن قد ابنت ظهرك؟ اي الم تكن قد اشتريت راحلة قال قلت يا رسول الله اني والله لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرأيت اني سأخرج من سخطه بعذر - 00:11:28

لقد اعطيت جدا ولكنني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوش肯 الله يسخطك عليك وان حدثتك حديث صدق تجد عليه فيه اي تعجب علي فيهم اني لارجو فيه عقبى اي في صدق العقبة الحسنة بتوبة الله علي ورضا رسول الله - 00:11:49

صلى الله عليه وسلم عنى ومن صدق الله تعالى لم يخن يعني لم يذهب ظنه بربه سدى على الانسان ان يحسن ظنه بربه ويصدق مع

ربه والله ما كان لي من عذر والله ما كنت قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنك - 00:12:21

قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك وثار رجال من بنى سلمة فاتبعوني فقالوا لي والله ما علمتك اذنبت ذنبا قبل هذا - 00:12:48

لقد عجزت في ان تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك ذمة استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم - 00:13:06

قال فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى اردت ان ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكذب نفسي ثم قلت لهم هل لقي هذا معي من احد؟ قالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثلكما قلت - 00:13:22

وقيل لهم مثل ما قيل لك. قال قلت من هما؟ قالوا مراراة بن الربيع العمري وهلال بن امية الواقف قال فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدوا بدوا فيهما اسوأ قال فمضيت حتى ذكروهما لي - 00:13:44

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا ايها الثالثة من بين من تخلف عنهم قال فاجتنبنا الناس او قال تغيروا لنا حتى تنكرت اي تغييرت علي حتى تنكرت لي في في نفسي الارض - 00:14:07

فما هي بالارض مما هي بالارض التي اعرف فلبتنا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحباي فاستكانا اي خضع وقعدا في بيتهما ببكبان واما انا فكنت اشد القوم اي اصغر القوم - 00:14:32

واجلدهم فكنت اخرج فاشهد الصلاة مع المسلمين واطوف في الاسواق ولا يكلمني احد واتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فاقول في نفسي هل حرك شفتنيه برد السلام ام لا - 00:14:56

ثم اصلي قريبا منه واسارقه النظر فإذا اقبلت على صلاتي نظر اليك وإذا التفت نحوه اعرض عني حتى اذا طال ذلك علي من جفوة المسلم مشيت حتى تسورت اي علوت سور بستان حتى تسورت جدار حائط ابي قتادة - 00:15:22

وهو ابن عمي واحب الناس الي فسلمت عليه فوالله مارد علي السلام فقلت له يا ابا قتادة انشدك بالله اي اسألك بالله هل تعلماني احب الله ورسوله فسكت وعدت منادته فسكتت فعدت منادته فقال الله ورسوله اعلم - 00:15:49

فطالت عيناي اي بالدموع وتوليت حتى تسورت الجدار فيبين انا امشي في سوق المدينة اذ نبطي من نبط اهل الشام والنبطي هو الفلاح لانه سمي نبطيا لانه يستنبط الماء اي يستخرجه - 00:16:21

ممن قدم بالطعام يبيع بالمدينة يقول من يدل على كعب ابن مالك وطرق الناس يشيرون له الي حتى جاءني دفع الي كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا اي قارئا فقرأته فإذا فيه - 00:16:42

اما بعد فانه قد بلغنا ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة اي لست في دار يضيع فيها حقك فالحق بنا نواسك اي من المواتاة فقلت حين قرأتها وهذه ايضا من البلاء - 00:17:04

فتيممت بها التنور اي قصدت بها التنور. فسجرتها حتى اذا مضت اربعون من الخمسين واستثبتت الوحي اي تأخر اذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيبني فقال ان اذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيبني فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك ان تائزن - 00:17:28

فقلت اطلقها ام اذا افعل؟ قال لا بل اعتزها فلا تقربينها وارسل الى صاحبها بمثل ذلك فقلت لامرأتي الحق باهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الامر فجاءت امرأة هلال ابن امية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له يا رسول الله ان هلال ابن امية شيخ ضائع ليس - 00:17:56

له خادم فهل تكره ان اخدمه؟ قال لا. ولكن لا يقربينك اي الجماع فقال انه والله ما به من حرفة الى شيء. ووالله ما زال يبكي منذ ما كان من امره - 00:18:28

ما كان الى يومه هذا فقال لي بعض اهلي لو استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك فقد اذن لامرأة هلال ابن امية ان تخدمه فقلت لا استاذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدرني ماذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استاذنته فيها

رجل شاب فلبيت بذلك عشر ليال فكم لانا خمسون ليلة من حين نهي عن كلامنا ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا وبين انا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى منا - 00:19:06

فقد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ او في اي صعدة او في على سلع اي على جبل في المدينة يقول باعلى صوته يا كعب ابن ما لك ابشر - 00:19:30

فخررت ساجدا. وهذا يدلك على ان هذا الامر كان معروف عند الصحابة وهو سجود الشكر اخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت انه قد جاء فرج اللهم فرج عنا وعن امة الاسلام اجمعين - 00:19:49

فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس ليبشروننا فذهب قبل صاحبيه مبشرون وركض رجل الي ترسا وسعى ساع من اسلم قمل واوفي على الجبل احدهما بفرس جاد يبشره والآخر صعد الى جبل ليبشره - 00:20:06

فكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته اي جاءني صوت فاعل جانب يبشرني نزعت له ثوبي فكسوتهما اياه بشارتي. والله ما املك غيرهما يومئذ - 00:20:35

واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت اتمم اي اقصد اتمم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقاه للناس فوجا فوجا يهنهنوني بالتوبة ويقولون لي لتهنك اي هنينا لك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس - 00:20:59 قوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهروي حتى صافحني وهناني والله ما قام رجل من المهاجرين غيره فكان كعب لا ينساها لطحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من الثلج. ابشر - 00:21:29

بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك فقلت امن عندك يا رسول الله؟ ام من عند الله؟ قال لا بل من عند الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سرت ووجهه حتى كان وجهه قطعة قمر - 00:21:50

وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبتي ان انخلع من ما لي صدقة الى الله والى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك علیك بعظام مالك فهو خير لك - 00:22:12

فقلت اني امسك سهمي الذي بخير وقلت يا رسول الله ان الله تعالى انما انجاني بالصدق وان من توبتي ان لا اه لا ان لا احدث الا صدقا ما بقيت. شف هذا التوبة بالعمل الصالح - 00:22:31

فوالله ما علمت احدا من المسلمين ابلاه الله تعالى اي انعم الله عليهم في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم احسن مما ابلاني الله تعالى به اي احسن مما انعم الله به - 00:22:52

يقول واني نعم فوالله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا واني لارجو ان يحفظني الله تعالى فيما بقي ولذلك يحرص الانسان ان يحفظه الله تعالى من الذنوب والمعاصي - 00:23:10

قال فائز الله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبواه في ساعة العسرة حتى بلغت انه بهم رؤوف رحيم. وعلى الثالثة الذين خلفوا حتى ضاقت عليهم الارض بما رحبت - 00:23:26

اذا بلغ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال فعل والله ما انعم الله علي من نعمة قط بعد اذ هداني الله للإسلام احضر في نفسي من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم - 00:23:45

ان لا اكون كذبته فاھلك كما هلك الذين كذبوا ان الله تعالى قال للذين كذبوا حين انزل الوحي شر ما قال لاحد فقال سيحلون بالله لكم اذا اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم - 00:24:03

فاعرضوا عنهم انهم رجس ومواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحذفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضي عن القوم الفاسقين قال كعب كنا خلفنا ايها الثالثة - 00:24:21

عن امر اولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبایعهم واستغفر لهم وارجع رسول الله صلى الله عليه

وسلم امرنا حتى قضى الله تعالى فيه - 00:24:44

فبذلك قال تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس الذي ذكر الله مما خلفنا تخلفنا عن الغزو وانما هو تخليفه ايانا وارجاؤه امرنا عن حلف له واعتذر اليه فقبل منهم متفق عليه. وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج في غزوة تبوك يوم الخميس - 00:25:00
وكان يحب ان يخرج يوم الخميس وفي رواية كان لا يقدم من سفر الا نهارا في الضحى. فاذا قذف بدأ بالمسجد فصل فيه ركعتين ثم جلس فيه ايها الاخوة هذا الحديث عظيم - 00:25:30

وفيه فضيلة الصدق فسأل الله ان يجعلنا مع الصادقين. وان يحشرنا وان يحشرنا مع الصادقين. وفيه فوائد تحديدا ومن ذلك عظم امر المعصية وقد نبه الحسن البصري على ذلك فيما اخرجه ابن ابي حاتم - 00:25:50

باسناده اليه قال الحسن يا سبحان الله ما اكل هؤلاء الثلاثة مالا حراما ولا سفك دما حراما ولا افسدوا في الارض اصحابهم ما سمعتم وضاقت عليهم الارض بما رحبت فكيف بمن ي الواقع الفواحش والكبائر؟ اسأل الله ان يهدينا وان يهدي بنا - 00:26:13
وان يحفظنا وال المسلمين اجمعين. وان يبدل الله عن هذه الامة يسرا. وان يرفع القتل والبلاء والفقر عن امة الاسلام اللهم اصلاح امة محمد. اللهم ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار - 00:26:40

هذا وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى الله وصحبه ومن تبعه باحسان الى يوم الدين - 00:27:00